الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الشباب
التاريخ : ١٩٩٩/١

اقترب من الرئيس الراحل أنور السادات، وارتبط معه بعلاقة صداقة استمرت ما يقرب من ٤٠ سنة وكان الرئيس يبوح له بأدق أسراره السياسية ويتعرف منه على نبض الشارع المصرى. وظلت هذه العلاقة فى إطار الصداقة فقط

إنه الدكتور محمود جامع الذى أصدر أخيرا كتابا بعنوان «عرفت السادات» تناول فيه أسراره وذكرياته مع السادات، وهو الكتاب الذى أثار ضده زوبعة شديدة!

وفى هذا الحوار يتحدث الدكتور جامع عما جاء فى الكتاب وعن بعض ذكرياته مع الرئيس السادات.

كاتم أسرار الرئيس!

الدكتور محمود جامع صديق السادات بعد ١٧ عاما من رحيله:

كنت مستشاره فى الأمور العائلية فقط.. وكان يبوح لى بأدق أسراره الخاصة

جيهان السادات تدخلت لإقالة الشيخ الشعراوى من وزارة الأوقاف لأنه رفض إعطاءها درسا دينيا وهى بدون الحجاب!

كنت على علم بموعد حرب أكتوبر..

والشهود على ذلك لايزالون أحياء!

السادات كان يحلم بأن يسير فى موكب فرعونى

حتى أهرامات الجيزة ومات قبل أن يحقق أمنيته!

ويقول الدكتور محمود جامع عن بداية علاقته بالسادات: أنا من مواليد مركز تلا بالمنوفية، والرئيس السادات من نفس قرية ميت أبو الكوم التى تتبع نفس المركز وبينى وبينه علاقة قرابة من جدته وكنت أراه عندما كان يتردد على جدى عمدة القرية وأعجبت به لأنه كان ضابطا وطنيا وسجن فى قضايا سياسية مثل قضية أمين عثمان فنشأت بيننا علاقة صداقة وبدأت أتردد عليه فى منزله بالقاهرة ولم تنقطع صلتى به حتى أواخر أيامه لأننى كنت أحس أن لى فى قلبه منزلة خاصة وكان ارتباطى به قائما على الصراحة ولم تكن لى أى تطلعات فأنا أحترم مهنتى كطبيب.

ومنذ حوالى ثلاث سنوات فكرت فى كتابة مذكراتى وجمعت مادة الكتاب فى أوراق متفرقة وكنت كلما تذكرت شيئا كتبته فى ورقة مستقلة ورغم ذلك هناك أشياء لم أذكرها فى الكتاب لأننى تذكرتها فيما بعد كما أن هناك أشياء لا أستطيع أن أبوح بها الآن.

●● ذكرت فى كتابك أن حريق القاهرة قام به عبد الناصر رغم أن كل المؤرخين والمحللين لم يستطع أحد منهم أن يقطع باسم أحد كمسئول عن حريق القاهرة فما هو دليلك على ذلك؟

● لقد احتفظ جمال عبد الناصر بمادة حارقة وأسلحة ومفرقعات فى عزبة صديقه الحميم المستشار حسن العشماوى وقبل حريق القاهرة بيوم واحد أخذها عبد الناصر من العزبة واكتشفوا فيما بعد أن هذه المادة موجودة فى القوات المسلحة فقط وأن الذى أخذها هو عبد الناصر ومن يريد أن يتأكد من ذلك عليه أن يسأل الدكتور محمد سليم العوا زوج ابنة المستشار حسن العشماوى!

●● تحدثت عن عبد الناصر فيما يقرب من نصف مادة الكتاب فى حين أن علاقتك كانت بالرئيس أنور السادات.. فما تفسيرك لذلك؟

● السياسة لا تتجزأ.. وأنا أتكلم عن حقبة من تاريخ مصر اشترك فيها الاثنان بحكم تاريخهما السياسى وصداقتهما المشتركة فكيف أستطيع الفصل بينهما ثم أننى ذكرت

عند عبد الناصر ما كان يرويه السادات لى.

●● بماذا تعلل رفض سامى شرف التعليق على ما جاء فى كتابك؟

● لا يستطيع الرد على ما ذكرته، وكان هو وشعراوى جمعه وعلى صبرى يتقاضون مرتبات شهرية من المخابرات السوفيتيه وهذا الكلام لم أقله أنا فقط وإنما جاء أيضا فى كتاب ملفات ثورة يوليو لطارق حبيب والذى ذكره له أمين شاكر عضو الضباط الأحرار، ووزير السياحة الأسبق.

وهو المعروف عند الجميع بصدقه وأمانته ونفس الكلام ذكره لى السادات، وبالنسبة للمبالغ التى كان يوزعها سامى شرف فهى مسجلة فى المحاكمات كما أن الرشاوى التى كان يدفعها للتنظيم السرى معروفة!

●● لكنك ذكرت فى كتابك أن السادات كان يريد الاحتفاظ بسامى شرف ويفضله عن مجموعة مايو . فكيف يعرف السادات هذه الأشياء عن سامى شرف ثم يحتفظ به؟!

● السادات كان يخشى سامى شرف وكان يريد الحفاظ عليه مؤقتا على أساس أنه رجل كان يعرف كل خبايا عبد الناصر كما كان الحرس الجمهورى يدين لسامى شرف بالولاء فالليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى وقتها كان يميل الى سامى شرف .. وقد أخطأت مراكز القوى حينما أرادت التخلص منه فعرضوا عليه العمل مديرا للمخابرات أو سفيرا لكنه رفض، وعندما وقعت أحداث مايو وقدم المتآمرون استقالاتهم الجماعية قام الليثى ناصف بالقبض عليهم جميعا وزجّ بهم فى سجن القلعة وأذكر أن السادات فى هذه الفترة كان فى منتهى الشجاعة حيث كان يجلس فى بيته واضعاً طبنجته على المنضدة وهو يردد أن أى شخص سوف يأتى إليه فسيضربه بالنار فقد كان من خططهم أن يقبضوا على السادات ويعدموه مع ٧ أشخاص آخرين منهم أنا

●● بمناسبة الحديث عن الليثى ناصف لماذا لم تذكر فى كتابك النهاية المؤلمة التى انتهى إليها فى عصر السادات؟

● عندما مات الليثى ناصف فى لندن لجأت زوجته الى سفارة تونس فى لندن

واتهمت السادات وأجهزته بأنهم هم الذين قتلوه وألقوا به من البلكونه وظلت جثته هناك

لمدة عشرة أيام ثم أغلق هذا الموضوع ونقلت جثة الليثى ناصف ودفنت فى مصر وقد سألت السادات فيما روته زوجة الليثى ناصف من اتهامات فأنكر وقال أنه سقط من البلكونه بشكل طبيعى

●● فى مذبحة القضاء اتهمت عبد الناصر بأنه المسئول عنها وبرأت السادات منها رغم أنه كان المسئول عن اللجنة التى قامت بتصفية القضاء فما السبب؟

● لم يكن السادات يعارض عبد الناصر على الإطلاق وكان مغلوباً على أمره، ولا يعبر عن رأيه أبدا عندما يخالف عبدالناصر فهو سياسى ذكى!

●● هل هجومك على عبد الناصر كان متأثرا برأى السادات فيه؟

● لا.. إطلاقا.. فالشعب كله فى بداية الثورة التف حول عبد الناصر وكان يفديه بروحه ودمه ولكن عبد الناصر تحول الى ديكتاتور.. فكيف بعد ذلك نفديه بأرواحنا وهو ديكتاتور تخلص من كل ضباط الثورة الذين كانوا يعارضونه.

●● وهل أصبح السادات ديمقراطيا بعد رئاسته للجمهورية؟

● عبد الناصر حكم مصر كدكتاتور بلا مؤسسات.. أما السادات فكان ديكتاتوراً بمؤسسات.. فدكتاتورية عبد الناصر كانت سافرة بلا حدود أما الثانية فكانت مستقرة!

●● هل قلت للسادات ذلك.؟

● عندما أنشأ السادات المنابر سألته هل أنت جاد فى إنشاء أحزاب وحياة ديمقراطية فنظر لى ولم يرد ثم ضحك ضحكة عرفت منها أن المسألة كلها مجرد ديكور!

●● شكك البعض فى أنك كنت تعرف حقيقة موعد حرب ٦ أكتوبر كما ذكرت فى كتابك.. فبماذا ترد عليهم؟

● ذات يوم كنت جالسا: فى منزل السادات بقريته بميت أبو الكوم وكنت أريد أن أشكو له خلافاً وقع بينى وبين الدكتور محمود محفوظ وزير الصحة وقتها وفجأة قال لى السادات سوف أحارب إسرائيل يا محمود فقلت حتى أرفع معنوياته «بالطبع

سوف تحارب» فقال لى أنا أتكلم بجد سوف أحارب إسرائيل خلال أسبوعين ولو أخبرت أحداً بهذا فسوف أذبحك.. وأذكر أنه فى هذا اليوم طلب من أخته التى كان يتفاءل بها كثيرا، أن تدعو له فقالت له ببساطة «ربنا ينصرك يا أخويا على من يعاديك» وبعدها بأيام ألقى السادات خطابا قال «مضى وقت الكلام وجاء وقت الجد وسنبدأ التنفيذ».. وأدركت صدق ما قاله لى فى ميت أبو الكوم وأخبرت أحمد كمال أبو المجد وزير الإعلام وصلاح هدايت وزير البحث العلمى وقتها عن نية السادات فى الحرب وهؤلاء شهود أحياء ومن أراد أن يتأكد من صحة الواقعة يستطيع ذلك بسهولة - ثم أخبرنى السادات بعد ذلك بأن الحرب سوف تكون فى المدة من٣ إلى ١٠ أكتوبر وقد كان!

●● اذا اقتربنا أكثر من شكل العلاقة التى ربطت بينك وبين السادات ما يقرب من أربعين عاما.. فماذا تقول عنها؟

● كانت علاقة متعددة المراحل والظروف فعندما كان نائبا لرئيس الجمهورية كان يقضى معنا يومى الخميس والجمعة من كل أسبوع بميت أبو الكوم وكان يجلس فى المضيفة مع الناس. وعندما أصبح رئيسا للجمهورية اختلف الوضع وأصبح يأتى إلى ميت أبو الكوم كل خمسة عشر يوما ثم كل شهر ثم تباعدت الزيارات لكنها لم تنقطع أبداً.. وأذكر أننى قلت له بعد أن أصبح رئيسا لمصر سوف يصبح هناك صعوبة فى مقابلتك فلا تنتظر منا أن نبحث عنك حتى تطلبنا لمقابلتك فى القاهرة.

●● هل تغيرت معاملة الرئيس السادات لكم بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية؟

● عاش السادات مراحل نفسية مختلفة فبعد صراعه مع مراكز القوى أصبح بطل حرب أكتوبر ثم قام بمبادرة السلام مما أعطاه وضعا عالميا متميزا وأطلقوا عليه «بطل الحرب والسلام» وتغيرت شخصيته حتى مع أقرب الأقرباء إليه فبدأ ينظر للناس على أنهم أقل منه وتبدلت أحواله تماما.. وأصبح كل شىء عنده بحساب.

●● الم تختلف ذات مرة معه؟

● اختلفت معه بعد اعتقالات سبتمبر حيث كنت فى باريس وقتها وقرأت عنها فى الصحف الفرنسية وبالطبع لم أكن سعيداً بالهجوم على الرئيس السادات كما لم أكن سعيداً بقيام السادات بالقبض على كل رموز مصر ووضعهم فى السجون وكنت فى ذهول مما حدث وقررت العودة الى مصر.. وكان الى جوارى فى الطائرة الدكتور فتحى سرور فقلت له سوف أفاتح الرئيس فى اعتقالات سبتمبر فقال لى «الرئيس متوتر وأرجوك ألا تكلمه».. وقابلت السادات قبل وفاته بيومين بصعوبة بالغة وكان شكله متغيرا جدا ومتوترا الى أقصى حد وكان يجلس فى حديقة منزله مشدودا جدا، ورجتنى السيدة جيهان السادات ألا أتحدث معه فى السياسة وفور أن سلمت عليه جلست بجانبه وقلت معروف أنك رجل الحرية وقد قرأت فى باريس هجوما شديدا ضدك بسبب اعتقال الكتاب والصحفيين وأنت بهذه الطريقة تغضب كل الناس منك وهنا ثار ثورة عارمة وقال.. «أنت لا تفهم شيئا.. انت عايز غسيل مخ وهم ضحكوا عليك إنت كمان»، ثم تركنى وانصرف ولم يعطنى فرصة للكلام وأصبح وضعى غير مرغوب فيه فانصرفت قبل أن أتناول الشاى وبعدها بيومين حدث ما حدث واغتيل الرئيس السادات.

●● هل كان السادات ينظر إليك على أنك عينه على الشارع المصرى

● طبعا.. أنا لم أكن أتحدث عن نفسى وإنما كنت دائما أقول له الشارع يقول كذا وكذا.

●● ما القضايا التى كان الرئيس السادات يسترشد برأيك فيها؟

● كان السادات غالبا ما يأخذ برأيى بالمسائل العائلية الخاصة ومنها على سبيل المثال خطبة ابنته لأحمد المسيرى وانفصالها عنه.. فقد أعجبت السيدة جيهان بشخصية أحمد المسيرى الذى كان يعمل فى حرس رئاسة الجمهورية وأوحى فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس الى أحمد المسيرى بإذن من جيهان السادات أن يخطب ابنة

السادات فخطبها وبعد أن كان أحمد المسيرى حارس الرئيس ويفتح له الباب أصبح خطيب ابنته فأصدر السادات قراراً بتعيينه سكرتيرا خاصا له مع فوزى عبد الحافظ ثم أصبح أحمد المسيرى يتناول طعامه مع أسرة السادات ولا يأكل مع السكرتارية فى الخارج وبدأت أحقاد فوزى عبد الحافظ تظهر والتقت مع خوف أشرف مروان من سرعة صعود أحمد المسيرى فكان أن اتفق الاثنان على إفشال هذه الزيجة وأثرا بالفعل على السيدة جيهان السادات التى طلبت من أحمد المسيرى فسخ خطبة ابنتها فرفض أحمد المسيرى وصمم على هذا الرفض فطلبنى السادات وأمرنى أن أنهى هذا الموضوع، وبالفعل التقيت بأحمد المسيرى وكنت أعرفه من قبل وقلت له أنك سوف تترك ابنة الرئيس بإرادتك أو رغما عنك وأنت لن تبقى فى الرئاسة ومن الغد تذهب الى الرئيس بمفردك، وتقول له إننى أقدركم وأحبكم ومع ذلك فالقرار لكم.. وبعد أن تقول له ذلك تكتب قرار نقلك للخارجية وتنسى هذا الموضوع نهائيا.

وبالفعل نفذ أحمد كل ماطلبته منه ولكنه أخطأ عندما قال للسادات أريد أن أبقى معك فعينه السادات سكرتيرا فى قصر عابدين ولكنه لم يبق سوى شهر ثم نقل الى بروكسل.

●● هل كنت تتحدث مع الرئيس السادات فى الدور القوى الذى كانت تمارسه السيدة جيهان السادات؟

● جيهان السادات كانت تتدخل فى أمور كثيرة. ولكن الرئيس لم يكن يسمح لها بذلك.. وبالرغم من ذلك تدخلت فى إقالة الشيخ محمد متولى الشعراوى من زارة الأوقاف واساءت إليه جداً بعد أن رفض أن يعطى لها درسا دينيا هى ومجموعة من سيدات مصر الجديدة وهن سافرات، وقالت لى «قل للشعراوى صديقك إننى سوف أقيله وأبلغت الشيخ الشعراوى بذلك فقال «ياريت».. وكذلك تدخلت فى إقالة أحمد سلطان وزير الكهرباء الأسبق وقدمته للمحاكمة لخلافات شخصية معه ولكن المحكمة حكمت ببراءته.

●● ماذا عن علاقة السادات بالكتاب والصحفيين؟

● السادات كان وفيا لموسى صبرى فلقد كان معتقلا معه فى سجن عاقوسه أما هيكل

فكان رجل عبدالناصر بلا منازع لدرجة أن سكرتيرته نوال المحلاوى كان لها تأثير على الوزراء وعندما حدث

خلاف بين عبدالناصر وهيكل بسبب القبض على سكرتيرة هيكل قام السادات بالصلح بين الاثنين حيث ذهب هيكل الى عبدالناصر وفور أن رأى عبدالناصر هيكل اخذه من يده وأغلق عليهما الحجرة وتركا السادات فى الخارج بمفرده فى موقف لم ينسه السادات أبدا لهيكل.. ولكن الشئ الذى ضايق السادات أكثر أنه عندما أصبح رئيسا اجتمع مرة مع كيسنجر وزير خارجية أمريكا وهنا ضرب هيكل يده بشدة على المنضدة.. وقال أنا قلت «الرئيس لايجلس وحده مع كيسنجرووصلت هذه الكلمة الى السادات عن طريق أشرف مروان الذى غضب وقال «قولوا له عهد التلقين انتهى»!

أما أحمد بهاء الدين فقد كان السادات يحبه ويقدره وكان معجبا به كصحفى الى أقصى حد.. فى حين لم يكن السادات يحب مصطفى أمين - كما كان السادات يستريح جدا الى أنيس منصور ويمارس معه رياضة المشى.

●● هل تستطيع أن ترسم لنا صورة للسادات الذى كنت صديقا له؟

● السادات كان يصلى وكان متوضأ ويقرأ القرآن بصوت جميل جدا وكان يحب الجلوس على الارض وكان يحب أن يشرب الماء من ماء القلة.

واذكر انه زار ميت أبو الكوم ذات مرة وصمم ان يركب حمارا ويلف به القرية كلها وكان يطلب من سائق السيارة أن يسير على سرعة ٤٠ كيلو مترا فى الساعة فقط لأنه كان يحب النظر الى المساحات الخضراء كما كان يهوى النظر الى القمر فى الليل.

وكان يسأل دائما عن أساتذته فى القرية ويودهم وكان يحب أن يكون شاهدا فى عقود الزواج وذات مرة بعد أن انتهى من صلاته سأل «فين سيدنا»

يقصد الشيخ الذى كان يحفظه القرآن فقالوا له إنه مريض فصمم على زيارته وسارت البلد كلها خلفه وطرق باب الشيخ وسلم عليه وأعطاه عباءة وشالا وجلبابا

●● من وجهة نظرك ما الميزة التى كانت موجودة فى عبدالناصر ولم تكن فى السادات وما عيب كل منهما؟

● ميزة عبدالناصر أنه كان يستمع أكثر ممايتكلم.. كما أن عبدالناصر كان فى عينيه بريق غريب يركز بهما على الشخص الذى أمامه فيشعره بالهيبة الشديدة. أما السادات فتشعر أنه رجل طيب ابن بلد تألفه بسرعه.

فالسادات كان قلبه عامرا بالإيمان والمحبة ومهما قسى فإنه لابد أن يحن فى النهاية ويسامح. أما عبدالناصر فلم يكن يسامح أبدا.

وعبد الناصر كان يتأنى فى قراراته وكانت اجهزته من أكفأ الأجهزة

ولكنها انحرفت وأصبحت مراكز قوة ضده فى النهاية وأخطر عيوب السادات أنه كان حساسا جدا من ناحية مراكز القوى وأنه أطلق العنان لبعض أعوانه فحدثت انحرافات كبيرة.

●● لماذا لم يختارك السادات وزيرا؟

● السادات كان دائما يقول لى أنت لاتصلح وزير صحة أنت تصلح مدير مخابرات.. وعرض علىّ أن أعمل سكرتيرا له ولكنى رفضت لأننى أحب مهنتى. كما أننى رشحت محافظا ثلاث مرات ورفضت.

●● ما الأمنية التى كان يريد السادات تحقيقها؟

● السادات كان يتمنى أن يسير فى موكب فرعونى إلى الهرم كنوع من الدعاية لمصر لكنه مات قبل أن يحقق حلمه!.

محسن عبد العزيز